

ملكة سبأ



تأليف
عازم إسماعيل السيد

الناشر
مؤسسة دار الفرسان

٩٣٠ حازم إسماعيل السيد .
٤٠ج مملكة سبأ / حازم إسماعيل السيد . —
ط ٠١ — القاهرة : مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ،
٢٠١٣ م .
١٦ ص : أيض ؛ ٢٤ سم . — (موسوعة ممالك
الذهب ؛ ١٠)
تدمك : 977-6169-33-3
١ - تاريخ . أ- العنوان . ب - سلسلة .

رقم الإيداع : ٩٥٢٣
ترقيم دولي : 977-6169-33-3

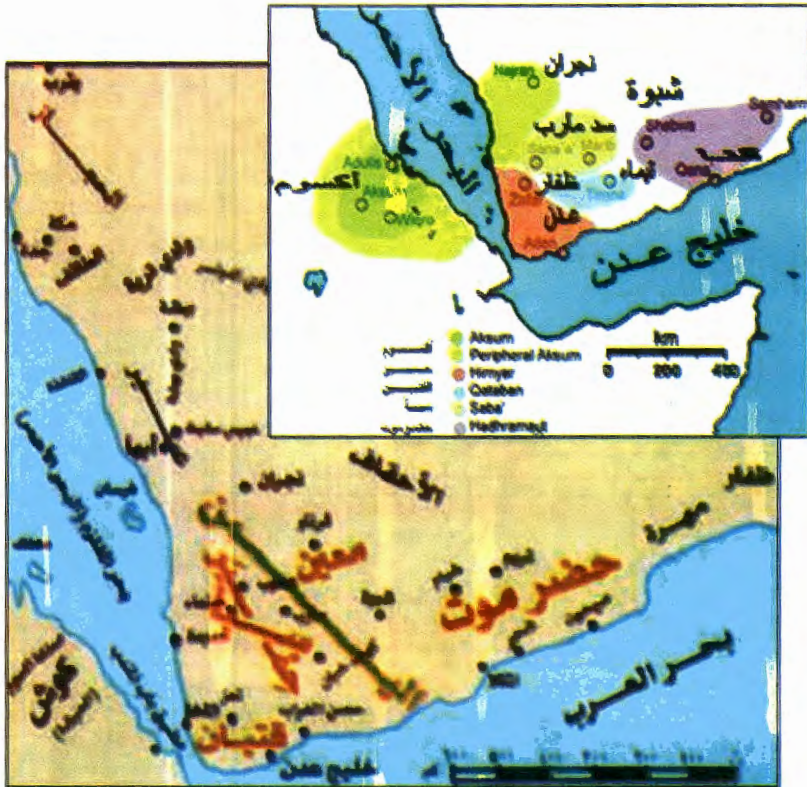
اسم السلسلة : ممالك الذهب
الكتاب : مملكة سبأ
المؤلف : حازم إسماعيل السيد
الناشر : مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع
العنوان : ٥١ شارع إبراهيم خليل - المطرية
ت : ٢٢٥١١١١٠ - ٠١٢٢٩٨٧١٢٣٧
الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

تحذير

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر
ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس جزء منه
بدون إذن كتابي من الناشر

واصل الكتاب العتيق حديثه ، وقد أقبلت عليه سائر الكتب التي كانت تزدان بها أرفف المكتبة فتراصوا حوله بينما ظل يستطرد كلامه قائلاً : مما يحزنني ويمزق قلبي أن يصف بعض المستشرقين من غير المنصفين العرب - الذين أنتسب إليهم بنسب اللغة العربية التي تتشرف بكونها لغة القرآن الكريم - أنهم همج رعا عاشوا حياة البداوة في منأى عن مظاهر الحضارة مشنتين عبر الفلاة متسعة الأرجاء ، وهذا بلا شك ظلم بين وإجحاف شديد فلا وزن لهذا الوصف إلى جانب ما نشأوا عليه من صفات الشهامة والمروءة والنجدة والكرم ونقاء النسب وصفاء العنصر ..

ومن جانب آخر كان العرب في الجزيرة العربية ينقسمون إلى فئتين : بدو رحل يعيشون في الصحراء حياة التتقل والترحال ، يعيشون في نظام الوحدة الصغيرة التي يربط أفرادها رباط الدم والعصبية التي يُعرف أفرادها بالقبيلة ، وحضر كانوا يعيشون في ممالك يحكمها ملوك وتمتلك نظم سياسية تباينت بين القوة والضعف ، وقد تركزت مناطق الحضر في الجزيرة العربية قبل الإسلام في ثلاث مناطق رئيسة هي : اليمن حيث قامت ممالك معين ، وسبأ ، وحمير ، وفي شمال الجزيرة العربية حيث قامت ممالك الأنباط ، وتدمر ، والحيرة (المناذرة) ، وغسان ، علاوة على بعض الممالك التي قامت في الجزيرة العربية بين الحكم القبلي مثل مملكة كندة (٤٨٠م - ٥٢٩م) التي كان امرؤ القيس الشاعر الجاهلي المشهور ابن أحد ملوكها إلى أن استطاع ملوك الحيرة دحر هذه المملكة ..



واليوم أحدثكم عن مملكة عربية قديمة كانت مضرِبًا للمثل عن العرب في رفاهية حياتها وعظمة مبانيها وتقدمها ، إنها مملكة سبأ التي شرفها الله بذكرها في القرآن الكريم وسمي سورة باسمها .

إنها مملكة قديمة امتدت أراضيها على شواطئ البحر الأحمر والحبشة جنوب جزيرة العرب ، حيث تقع اليمن في أيامنا ، ولم يرتبط تاريخ اليمن القديم بمملكة من الممالك القديمة مثلما ارتبط باسم سبأ التي ورد ذكرها في الكتب السماوية وحيتك حولها الأساطير والحكايات والقصص التي يختلط فيها سحر الشرق بعبق معالم الجمال الفتان والرخاء العميم مع توافر عناصر الرخاء من الثروة الواسعة والقوة المنيعه .

نشأت مملكة سبأ قبل القرن العاشر (ق . م) حيث ورثت ممالك "معين" ، واتخذت مدينة "مأرب" عاصمة لها ، وتُنسب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوكها ، وقد بلغت هذه المملكة أوج حضارتها في منتصف القرن الثامن (ق . م) حيث بُني السد المشهور الذي عُرف "بسد مأرب" الذي أسهم في ازدهار الزراعة كما ازدهرت بها التجارة إلى حد كبير فقد كانت ترتبط بصلات تجارية مع شواطئ إفريقيا ومع بلدان بعيدة مثل : الهند ، وبلاد اليونان ، كما هاجر بعض السبينيون خارجها واستوطنوا مناطق في اليونان وإفريقيا ، وأنشأوا فيها مملكة خاضعة لها عُرفت باسم مملكة "الأكسوم" .

وترجع أقدم الشواهد على وجود مملكة سبأ كواحدة من أقدم حضارات جنوب الجزيرة العربية حيث أقدم النصوص المكتشفة التي تعود إلى القرن الثامن (ق . م) وهي آثار ترجع إلى ملوك اليمن القدماء الذي يُعرف الواحد منهم باسم "مكرب سبأ" ، وهي نقوش محفورة في الحجر تخلد أحداثًا تمثل عملية تقرب الملوك والكهنة وباقي أفراد الشعب بالقرايين لمعبوداتهم .

أما أقدم المصادر التي تذكر قوم سبأ هي سجلات الملك الآشوري "سيرجون الثاني" (٧٢٢ ق . م - ٧٠٥ ق . م) وقد دُوّنت في تلك السجلات أسماء أصحاب الممالك التي كانت تدفع الضرائب للملك الآشوري مقابل المرور بأراضي مملكته ، ومن بينهم "إيت عمارا" ملك سبأ ، ويعد هذا هو أقدم مصدر يشير إلى الحضارة السبينية ، وإن كنا لا نستطيع أن نجزم بأن الحضارة السبينية قد بدأت في ذلك الوقت فمن المرجح أن تكون قد بدأت قبل ذلك بكثير ، فقد ورد في نقش الملك "أراد نانار" أحد ملوك "أور" المتأخرين كلمة (سابوم) التي تعني تحريم سفك الدم ، وإن صح هذا التفسير لهذه الكلمة يكون دليلاً على أن تاريخ هذه المملكة يرجع إلى عام ٢٥٠٠ (ق . م) ، كما ذكرت حضارة سبأ في عدة مصادر كالعهد القديم (كتب اليهود) ، والإلياذة ، والقرآن الكريم في سورة تحمل اسمها حيث وردت به قصة النبي سليمان عليه السلام مع بلقيس ، وقصة السد العظيم وسيل العرم .



رسالة منقوشة على لوح من المرمر تعود
لمملكة سبأ، موجهة إلى إلهة القمر،
"المقة"، وتذكر خمسة آلهة أخرى،
وملكين وحاكمين من جنوب جزيرة
العرب.
(من القرن السابع ق.م، متحف اللوفر).



"الرجل البرونزي" عُثر عليه في البيضاء
(نشقوم القديمة، مملكة سبأ)
القرن السادس أو الخامس (ق.م).
(متحف اللوفر).

حضارة سبأ :

كانت سبأ تمتلك حضارة عظيمة وكان لها لغة معروفة هي اللغة السبائية التي دُوت بها نصوصاً كثيرة وإن كان علماء الآثار والحفريات لا يستطيعون أن يحكموا بانتساب هذه الآثار المكتشفة إلى هذه الحضارة لمجرد استخدام هذه الكتابة لأن مملكة حمير (١١٠ ق.م - ٥٦٠ ق.م) كانت تستخدم كذلك الكتابة السبائية ، ولهذا لا يتم الحكم على صحة نسبتها إلى الحضارة السبائية إلا بالنظر في النص إن كان يذكر معبوداتهم وأسماء المعالم والآثار وأسماء الملوك الذين حكموا تلك المملكة ، وتذكر المصادر التاريخية أن هذه الحضارة كانت تشبه الحضارة الفينيقية في اعتمادها على التجارة بصفة أساسية ، وكان السبنيون يتخذون في أول أمرهم "صرواح" عاصمة لهم ثم نقلوها إلى "مأرب" التي أصبحت مركزاً تجارياً هاماً يعتمدون فيه على تجارة القوافل البرية التي كانت تنقل البخور واللبان والعطور من حضرموت شرقاً إلى "مأرب" غرباً ، ومن هناك كانت تسير القوافل شمالاً إلى المناطق العربية القريبة من البحر المتوسط ثم كانت تنقل هذه السلع إلى البلاد التي تحيط بذلك البحر مما جعل بعض المؤرخين اليونانيين يكتبون عن غنى أهل سبأ ورواج تجارتهم ، وكانت هناك صلات قوية تربط مملكة سبأ بشبه الجزيرة العربية ومراكز الشرق الأوسط الثقافية الأخرى مثل مصر وبلاد ما بين النهرين وفارس ، كما عرفوا الزراعة مما ساعدهم على حياة الاستقرار فعرفوا حياة المدينة بعد النظام القبلي وأصبح حكامهم يدعون بالمكربيين وتعني كلمة (مكرب) أي مقرب القرايين ومن المعروف أن لغة حمير كانت تنطق القاف كافاً ، وكان هؤلاء الملوك يجمعون في أيديهم السلطة السياسية والدينية وكان معبودتهم تدعى "المقة" التي بنوا لها المعابد وقدموا لها النذور والقرايين .



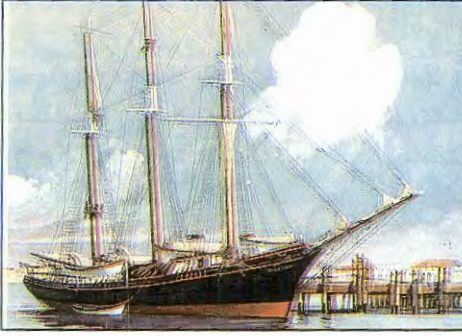
أطلال معبد برعان الذي أقيم لمعبودة سبأ "المقة" .

الحياة السياسية :

لا يزال تاريخ نشأة هذه الحضارة غير معروف على سبيل الدقة لأن أهل هذه الحضارة لم يشرعوا في كتابة تاريخ دقيق للحوادث المهمة بها حتى سنة ٦٠٠ ق . م لذلك لا توجد سجلات سابقة على هذا التاريخ وإن كان من المعتقد أنهم قد أسسوا مجتمعهم في الفترة ما بين ٩٥٠ ق . م على ١١٥ ق . م . ويشير العلماء إلى أن الدلائل والشواهد الأثرية تؤكد أن السبنيين اتخذوا من منطقة " مأرب " عاصمة للمملكة سبأ حيث انحصرت الأراضي التابعة لها بمنطقة مأرب ، ثم شملت مملكة سبأ اتساعاً كبيراً في عهد الملك المشهور " كرب أيل " (٧٠٠ ق . م - ٦٨٠ ق . م) لتشمل كل المناطق الغربية من اليمن التي انحصرت فيما بعد في منطقتي مأرب وصنعاء العاصمة السبئية الثانية التي أنشئت في القرن الأول الميلادي ، وكانت القوة العسكرية من أهم أسباب تفوق هذه الحضارة وصمودها طويلاً ، حيث كان الجيش السبئي من أقوى الجيوش في ذلك الزمان فقد اجتاحت جيوش سبأ منطقة " القتبين " وتمكنت من السيطرة على مناطق في القارة الإفريقية ، إلا أن إحدى حملاتها على المغرب هُزمت في عام ٢٤ (ق . م) على يد الجيش الروماني الذي كان يبسط نفوذه على مصر والساحل الإفريقي الشمالي التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية أعظم قوة في ذلك الزمان دون منازع . وتشير المصادر التاريخية إلى أن حضارتهم انهارت في عام ٥٥٠ م بسبب الهجمات التي كانوا يتعرضون لها من جانب الفرس والحبشة والدولة الحميرية ، وكان سقوط مملكة سبأ إيذاناً بمولد مملكة حمير التي ورثت حضارتهم باليمن .



الحياة الاقتصادية :



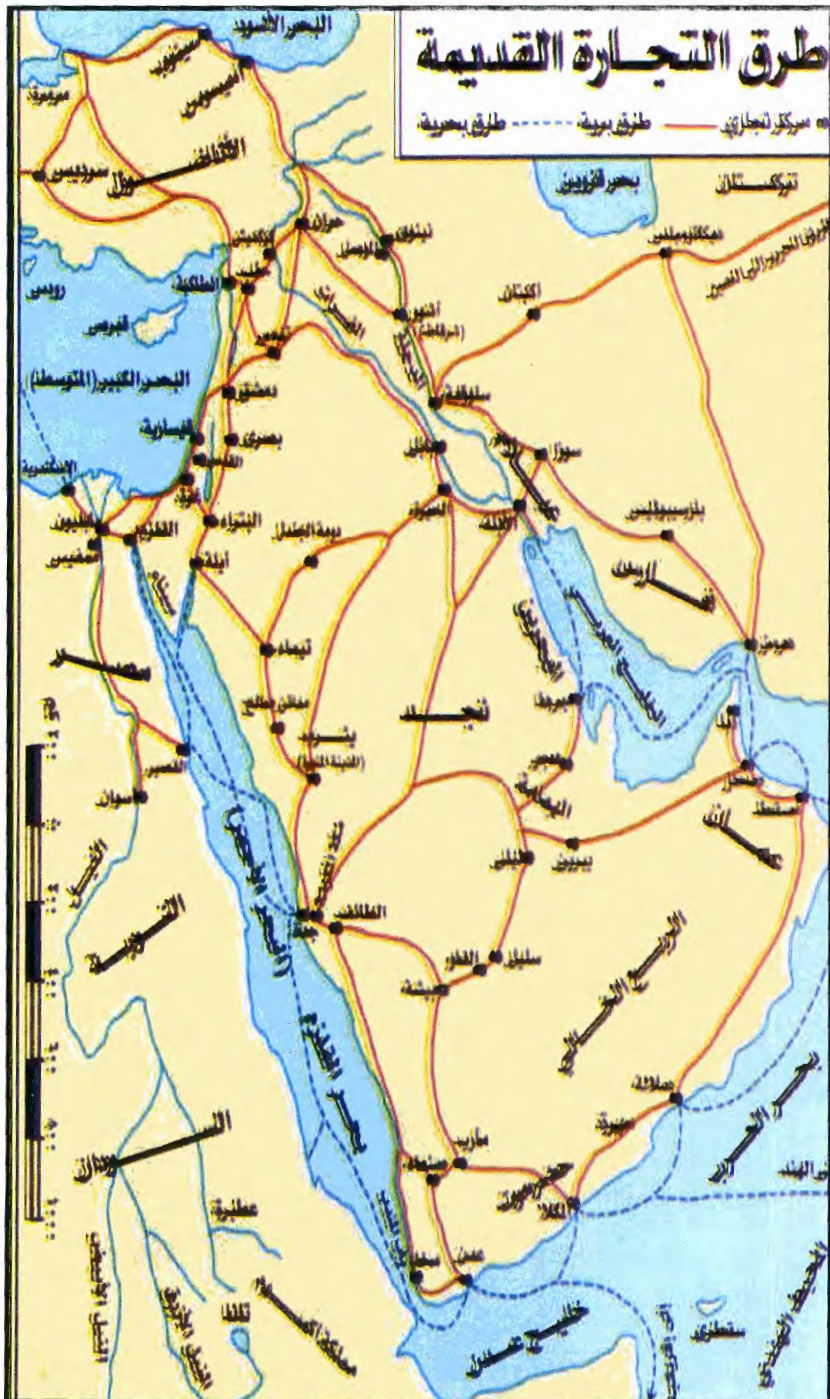
كانت التجارة أهم موارد مملكة سبأ فقد كانت وسيطاً تجارياً تمر التجارة عبر أراضيها كالمنتجات الهندية والإفريقية التي تمر عبر الجزيرة العربية إلى الشمال مثل : الذهب والعاج ودرق السلاحف والأخشاب النفيسة ، وكانت التجارة تمر عبر أراضيها إلى الأسواق الكبيرة في الشرق

الأوسط وحوض الفرات فيما بين (٨٠٠ ق.م - ٧٠٠ ق.م) ، وإلى غزة خلال العصر الفارسي ، وإلى البتراء في العصر الهليني . وكان لموقع سبأ الاستراتيجي المتميز دوره في التحكم في طرق التجارة وأشهر هذه الطرق ما عُرف بطريق اللبان (المر) حيث كان من أحب الطيب وأغلاء ثمناً في بلدان الشرق القديم وحوض البحر المتوسط ، وكان طريق التجارة يمت من الجنوب بدءاً من ميناء "قنا" في مصب وادي "ميفعة" على بحر العرب إلى أقصى الشمال حيث غزة بفلسطين على البحر المتوسط ، وكان هذا الطريق يمر من الجنوب إلى الشمال بمدينة "شبوة" و"مأرب" ، ثم يمر بوادي الجوف ومنه إلى "نجران" حيث يتفرع إلى فرعين : أحدهما يمر عبر قرية "الفاو" في وادي الدواسر ومنه إلى "هجر" بمنطقة الخليج ثم إلى جنوب وادي الرافدين ، والآخر وهو الطريق الرئيس ويمتد من "نجران" نحو الشمال ، ماراً ببثرب ثم "دادان" شمالي الحجاز ومنه إلى البتراء ثم إلى ميناء غزة بينما يتجه فرع آخر إلى دمشق ثم إلى مدن الساحل الفينيقي ، ويبلغ طول طريق التجارة من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال نحو ١٥٠٠ كم ، ولا شك أن استئناس الجمال في القرون الأخيرة من الألف الثانية (ق.م) لعب دوراً بارزاً في ازدهار تلك التجارة . وتذكر المصادر التاريخية أن التجار السبئيين في فترة حكم الملك الآشوري "سيرجون الثاني" (٧٢٢ ق.م .. ٧٠٥ ق.م) إذا ما مرت تجارتهم بالأراضي الواقعة تحت حكمه شمالي الجزيرة العربية يدفعون له الضرائب على تجارتهم المتجهة إلى غزة والبحر المتوسط ، وكان ذلك الملك يدون أسماءهم في السجلات السنوية للضرائب ، ويرى بعض المؤرخين أنهم كانوا يقدمون هذه الأموال للملك الآشوري على سبيل الهدايا لا الجزية أو الضريبة .



طرق التجارة القديمة

● مركز تجاري — طريق برية — طريق بحرية



الزراعة في سبأ :

كانت مأرب عاصمة سبأ خصبة الأراضي غزيرة الأمطار ، وكانت قريبة من نهر "الدهنا" الذي كان يشق وادياً بين جبلين وكانت تتجمع فيه مياه الأمطار مما دفع أهلها إلى التفكير في بناء سدٍ عظيم يحجز المياه لحين الحاجة إليها ، فبنى اليمنيون سدًا عظيمًا أعانهم على الري والزراعة فطاب الجو وازدانت الأرض بالبساتين والجنات .

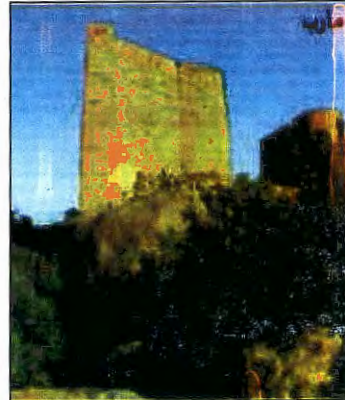
وقد أشار الكاتب الإغريقي القديم "بلييني" الذي زار اليمن وأسهب في مدحها ، وقال أنها أراضي شاسعة خضراء ، وبالفعل كانت هناك نهضة زراعية شاملة تمثلت في زراعة النخيل والعنب والحبوب ، كما كانت تشتهر بزراعة أجود أنواع اللبان في الجزء الأوسط من ساحلها الجنوبي في بلاد المهرة وظفار ، وقد ساعد هذا في تطور تجارة هذه السلعة وسلعاً أخرى غيرها .



سد مأرب :

أشهر آثار اليمن القديم بل أعظم بناء هندسي قديم بجنوب شبه الجزيرة العربية ، ويعود تاريخ بنائه إلى القرن الثامن (ق . م) أو على الأرجح في القرن السابع (ق . م) حيث وُجِدت نقوش على مبنى المصرف الجنوبي للسد ذكر به اسم "المكرب" ملك اليمن الذي أمر ببنائه . وقد بُني السد في وادي "ذنة" الذي يصل بين البلق الشمالي والبلق الجنوبي في شكل حوض ضخم ، وكان طول السد يبلغ ٧٢٠ م ، وارتفاعه ١٥ م ، وسمكه ٦٠ م عند القاعدة ، وقد شُيّدت أساساته من الأحجار الضخمة التي يغطيها جدار ترابي مدعم بالحجارة والحصى من الجانبين ، وعند طرفي السد يقع مصرفان يصرفان الماء إلى قناتين رئيسيتين ، ويشير بناؤه هذا إلى بعد هندسي يدل على روعة البناء ، ويتضح ذلك من تدرج سمك السد من أسفل إلى أعلى ، وكذلك الواجهات المنحوتة من الحجارة لواجهة السد واتضح ذلك من تلاحمها وتركيبها البديع ، وظل هذا السد يؤدي دوره في ري البساتين والمزارع ، وقد تعرض السد للهدم أربع مرات بسبب تراكم الترسبات الطميّة في حوضه ، وأهمّل ترميمه في عهد أبرهة الحبشي سنة ٥٥٢ م حيث ضربها سيل العرم ، والعرم هو الشديد أو هو اسم الوادي الذي أقيم عليه السد ، ولم يتبق الآن إلا بعض بقايا جدران تصل بين الجبلين الشمالي والجنوبي ، علاوة على القناتين الرئيسيتين التي كانت تربط السد بالجنتين .

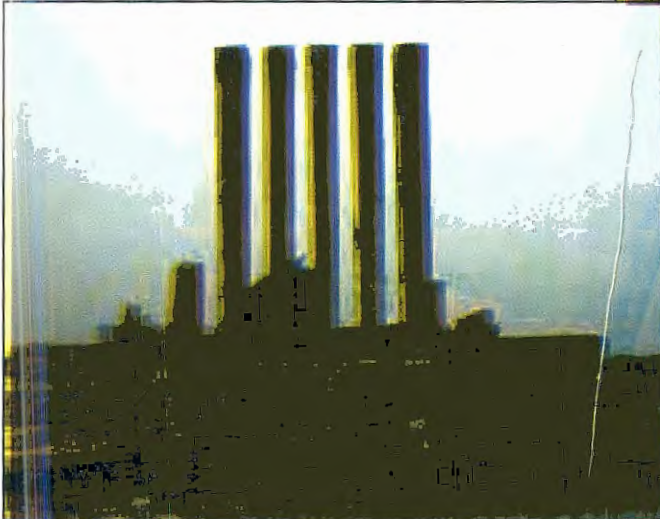
بقايا سد مأرب



العمارة السبئية :

بلغت العمارة السبئية مرحلة متقدمة من الرقي والتطور ، وكانت مبانيهم مثار للفخر ومضرب المثل في الجمال عند العرب القدماء ، وكان لها طابعها المميز فقد امتازت بالأعمة المضلعة والتيجان ذات المقاطع المزخرفة ، ويعتبر سد مأرب أحد أهم معالم هذه الحضارة ودليلاً واضحاً على روعة البناء ، ومن المعالم الأثرية البديعة الباقية أطلال معبد "برعان" (برآن) الذي كان المعبد الأساسي لمعبودتهم (المقة) وتُعرف الآن باسم "محرم بلقيس" ، ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن الخامس (ق . م) في زمن ملوك سبأ الذين عُرفوا بالمكرّبين ، وكان الشعب يتقدم بالنذور والقرابين لهذا المعبد ، ويرى الأثريون أن المعبد قد تطور في القرن التاسع (ق . م) من معبد بسيط إلى مجتمع شامل يضم مرافق للعبادة ومطابخ وورش عمل تقوم ببعض الأعمال الاقتصادية البسيطة ، وكان أهل اليمن يحجون إليه كل عام ، وظل هذا المعبد محلاً لتلك الطقوس الدينية إلى بداية النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي إلى أن هُجر المعبد ، ويبدو أن أهل البلاد قد رجعوا إلى عبادة الله الحق الرحمن والذي ذكر في بعض النقوش باسم (رحمنن) ، وأصبح محرم بلقيس ومنطقة مأرب قبلة يقصدها السانحون وموضعاً لأبحاث الأثريين ، وما زال جزءاً كبيراً من الآثار اليمنية مطموراً تحت الأرض .

نقش جداري بمحرم بلقيس .



معبد برعان في مأرب. بني في القرن الثامن ق.م. واستمرت العبادة فيه لنحو ١٠٠٠ سنة .

سبأ في القرآن الكريم :

ذكر الله تعالى قصة سبأ في كتابه الكريم وسمى لها سورة باسمها لتكون للمؤمنين عبرة وعظة ، فقد رزقهم الله تعالى النعيم وخصب الأرض والنبع والخير علاوة على الطمانينة والأمن ، لكنهم قابلوا نعمة الله بالكفر والجحود والإنكار والإعراض عن دين الله وكفروا بعد إيمانهم ، فعاقبهم الله تعالى بأن سلبهم تلك النعم ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُٗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٧﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٨﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٩﴾ ﴾ (سبأ : ١٧-١٩)

فبعد أن ما عاشوا لسنوات طويلة في خصب الأرض وطيب الثمر كفروا بالله فأرسل عليهم سيلاً عرمًا أي شديدًا مدمرًا دمر السد أغرق أراضيهم وبساتينهم وأتلف أشجارهم فانهارت اقتصاديات بلادهم وضعفت مواردها ، كما كان لافترائهم على الله أن سلب منهم الأمن ومزقهم كل ممزق قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظُهُرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا أَلْسِيرًا سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿٢٠﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ : ١٨-١٩)

ويعلمنا الله تعالى من هذه الآيات الكريمات درسًا عظيمًا ويعطينا العبرة والعظة فنعم الله تعالى تدوم بالشكر والحمد لله المنعم الذي يجود ويعطي من خزان ملكه التي لا تنفذ ، لكن نعمة الله تزول بالكفر والعصيان ، وهذه هي سنة الله تعالى في كونه لا تتغير ولا تتبدل ، مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم : ٧) .

(١) ثمر حامض . (٢) شجر الطرفاء .

(٣) شجر النبق وهو شجر كثير الشوك قليل الثمر .

بلقيس ملكة سبأ :

كما أورد الله تعالى قصة بلقيس في كتابه الكريم وإن لم يصرح باسمها في القرآن واكتفى بالإشارة إليها ، وهي بلقيس بنت الهداد بن شرحبيل من بني يعفر ، الحميرية اليمنية ، وإن كانت المراجع التاريخية تظهر كثيراً من الاختلاف والتضارب في هذا النسب كما أنها لم تذكر تاريخاً لسنة ولادتها أو وفاتها ، وكانت بلقيس سليله حسب ونسب فأبوها كان ملكاً ورثت عنه الملك لأنه لم يرزق بالذكور مما أثار مطامع الملوك في ميراثها من الملك وكان من أبرز هؤلاء الطامعين ذو الأذعار عمرو بن أبرهة الذي حشد جنده وهاجم مملكتها فتناكرت في ثياب أعرابي ولادت بالفرار واستطاعت بالحليلة أن تعود إليه فتقربت إليه ثم سقته الخمر فلما سكر وفقد رشده نبحته فخلصت أهل سبأ من شره وطغيانه وإفساده في الأرض ،



صورة تخيلية لبلقيس ملكة سبأ

وعندما استردت الحكم قادت حركة واسعة من النهضة والإصلاح فازدهرت البلاد بحكمتها وعدلها ، وعمّ الرخاء والاستقرار والعمران أرجاء البلاد ، كما عملت على تقوية جيشها وحاربت أعداءها ووطدت أركان مملكتها بالقوة والعدل ، وساست قومها بالحكمة ، أما عن أهم أعمالها فكانت بلا شك ترميم سد مأرب وإصلاحه مما زاد من الرخاء وانتعاش الزراعة والتجارة وعزز موقفها بين الممالك المجاورة ، وكانت بلقيس هي أول من اتخذ من مأرب عاصمة لملكها ومقرًا لحكمها ، وقد ذكر القرآن الكريم قصتها مع نبي الله سليمان عليه السلام في سورة النمل فقد جاء فيها أن بلقيس وقومها كانوا يعبدون الشمس ويسجدون لها ويتقربون لها بالقرايين ، وهذا ما ألم الهدد ذلك الطائر الصغير ذو المنطق

البلغ في القرآن والذي كان قد تخلف عن جيش سليمان عليه السلام ، وكان سليمان عليه السلام يتفقد جيشه وكان لكل حيوان أو طائر نائباً عن جنسه وكان الهدد دليلهم على الماء لأنه يستطيع أن يعرف مكانه في باطن الأرض ، فلما افترقه سليمان عليه السلام ولم يجده توعدّه بالعقاب والعذاب ، وكان يتنقل طوال يومه في ملك بلقيس فلما عاد وعلم بقسم نبي الله وكان له من الحجة وحسن الإقناع فأخبره بما هاله من أمر بلقيس ومملكتها وسجودهم لغير الله الخالق سبحانه الذي رزقه ورزقهم وهبهم نعمه ظاهرة وباطنة ، إذ قال تعالى في كتابه

الكريم : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٣١﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٣﴾ أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٥﴾ ﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٦﴾ (النمل : ٢٧-٢٢) فأجابه سليمان عليه السلام بما لديه من حكمة وحلم متحريراً صدق كلامه ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (النمل : ٢٧-٢٨) وطار الهدد حاملاً الرسالة فألقاها إلى بلقيس ففوجئت برسالة تلقى عليها وهي على عرشها الموشى بالذهب والمرصع باللآلئ والدر ، وكانت بلقيس حكيمة راجحة العقل فما إن فضت الرسالة وقرأتها حتى جمعت وزراءها ومستشاريها لتستشيرهم ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم هذا الحوار فقال تعالى : ﴿ قَالَتْ يَتْلُوهَا أَلْمَلَأُوا إِيَّايَ أُلْفَىٰ إِلَىٰ كِتَابِ كَرِيمٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٨﴾ أَلا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَتْ يَتْلُوهَا أَلْمَلَأُوا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ (النمل : ٢٩-٣٢) وكان رأي وزرائها يفيض حماسة وقوة ، لكنه يفتقر إلى الحكمة والعقل ﴿ قَالُوا خَنْ أُولُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (النمل : ٣٣) فقد كانت مملكة سبأ مملكة قوية مرهوبة الجانب تخشاه كل الممالك ، ومن هنا كان ميلهم إلى استخدام القوة والحرب ، إلا أن بلقيس كانت أكثرهم حكمة وبصيرة فقد كانت تعلم بخبرتها بتجارب الملوك والحكام فاعزت إليهم بمخاوفها من تهديد سليمان - عليه السلام - ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً ۚ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل : ٣٤) ورأت أن ترسل إليه بهدية ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل : ٣٥) وكان ذلك من تمام حكمتها وبعد نظرها فقد كانت تختبر سليمان - عليه السلام - الذي سمعت عنه أقوالاً فأرادت أن تتبين موقفه فإن كان ملكاً يريد الدنيا قبل منها الهدية وهنا تكون الحرب هي الفصيل ، وإن لم يقبلها فهو نبي من عند الله فلا قبل لهم بقتاله ، فلما

وصلت الهدايا لسليمان عليه السلام غضب الله تعالى ولم يقبل المساومة في دينه فتوعد بحرب الكافرين ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتَعِدُّونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنَا اللَّهَ خَزَائِنًا مِّمَّا آتَيْنَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (النمل : ٣٦-٣٧) وعندئذ أيقنت بلقيس بقوة سليمان عليه السلام وعظمة سلطانه وجمعت خاصتها واتجهت إلى الشام للقاء نبي الله سليمان ، وعلم سليمان عليه السلام بقدومها عليه فأراد أن يختبر ذكاءها ويبرهن لها على نعمة ربه عليه ﴿ قَالَ يَتَأَيَّمُوا أَوَّلُوا إِلَيْكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل : ٣٨) قال عِفْرِيتُ مِّنْ

الْحَيُّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ
وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيْ أَمِينٌ ﴿٦٠﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ
مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ
فَضْلِ رَبِّي لِمَتْلُوقٍ ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
يُشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٦١﴾ قَالَ
نُكْرُوا هَٰذَا عَرْشَنَا نُنْظَرُ أَتَهْتَدِيْ أَمْ تَكُونِ مِنَ الَّذِينَ